الكتب

نفح الطيب
فى طبعته الجديدة
بقلم محمد فهمى عبد اللطيف

همة مشكورة تلك التى يبذلها الدكتور أحمد فريد رفاعى فى الحرص على تراثنا الأدبى الحافل ، باحياء عناصره ، ونشر مصادره . وإذا كنا قد عرفنا هذه الهمة فى نفس الأستاذ من قبل — رغبة وأملا — فأننا الآن نلمسها منه عملاً جليلاً وجهداً كبيراً يؤديه فى نشر كتابى ، معجم الأدباء ، ونفح الطيب ، فى طبع متقن ، وضبط كامل ، وتقسيم واضح ، وتصحيح دقيق ، تقوم وزارة المعارف بمراجعة أصوله النهائية مبالغة فى إجادته وحرصاً على إتقانه

ولقد وقع لى « القسم » الأول من نفح الطيب ، فرأيته كالعروس المجلوة تخطر فى الثوب القشيب ، فهو يغرى بالقراءة إغراء ، ويستحث على المضى فى استجلائه وتأمله ، فعاودت الكتاب بالنظر والتصفح ، إذ كنت قد قرأته من قبل فى طبعته الأولى ، فقدرت عمل الدكتور النافع ، وتملكنى الأعجاب بذلك المجهود الذى بذله فى اخراج هذا الكتاب الجليل ، ولكن نشوة الأعجاب بالدكتور لا تمنعنى من أن أنبه على بعض هنوات ما نحسبها إلا قد ندت عن الخاطر اليقظ ، وخرجت عن الدقة البالغة

الاثنين ٢١ ديسمبر « واجبنا نحو التعليم بعد المعاهدة » للدكتور على مصطفى مشرفة

الخميس ٢٤ ديسمبر «واجبنا الصحى بعد المعاهدة» للدكتور حامد محمود « واجبنا الزراعى بعد المعاهدة » لحسين عنان بك

الاثنين ٢٨ ديسمبر «واجبنا الرياضى بعد المعاهدة» لصاحب السعادة محمد طاهر باشا

الخميس ٣١ ديسمبر «واجبنا القانونى بعد المعاهدة» للدكتور عبد الرزاق السنهورى

الاثنين ٤ يناير سنة ١٩٣٧ « واجبنا القومى بعد المعاهدة » للأستاذ محمد توفيق دياب

الخميس ٧ يناير « واجب الطلبة بعد المعاهدة » للأديب فريد زعلوك

الاثنين ١١ يناير « واجبنا الصحفى بعد المعاهدة » لأنطون الجميل بك «واجبنا نحو الفلاح بعد المعاهدة» للآنسة ابنة الشاطئ

الخميس ١٤ يناير « واجب المرأة بعد المعاهدة » للسيدة استر فهمى ويصا

وستلقى هذه المحاضرات فى قاعة بورت التذكارية وقد أعدت اللجنة بطاقات تبيح لحاملها الدخول فى جميع المحاضرات أو بعضها مجاناً لمن يطلبها من سكرتير اللجنة بكلية الحقوق أو بنادى الجامعة

وثائق الحملة الفرنسوية

اعتزمت الجامعة المصرية شراء طائفة من الوثائق والمستندات التاريخية الخاصة بعهد نابليون بونابرت فى مصر ، وقد طلبت إلى وزارة المالية الموافقة على الاعتماد الذى قدرته لهذا المشروع ؛ وفى انتظار تلك الموافقة وكلت إلى صاحب العزة عميد كلية الآداب أن يتصل بالمفوضية المصرية فى باريس ويطلب إليها موافاة الجامعة بالبيانات والمعلومات الخاصة بهذه المجموعة ، فتلقى الأستاذ العميد من معالى وزير مصر المفوض برقية يقول فيها إن هذه المجموعة ملك لأحد الفرنسيين ، وأنه قد عرضها للبيع بالمزايدة العلنية خلال هذا الشهر . أما ثمنها الأساسى فيقدر بنحو ألفى جنيه . ثم عرض معاليه على الجامعة استعداده لشراء هذه المجموعة إذا هى رغبت فى ذلك

فمن ذلك أنه وضع اسم الكتاب على الغلاف ناقصا ، فسماه نفح الطيب فحسب ، والمؤلف قد سماه (نفح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب) وهذا الاسم هو الذى وضع على الطبعات السابقة ، فكان على الأستاذ أن يثبته كاملاً للمحافظة على وضع المؤلف ، ولأن ذكر لسان الدين هو الفكرة الداعية لتأليف الكتاب كما أوضح ذلك المقرى فى مقدمته

ثم إن الأستاذ رأى أن يخرج الكتاب أقساماً تبلغ العشرين وأسمى القسم الأول منها بالجزء الأول ، ومن المعلوم أن المؤلف قسم كتابه عند التأليف إلى أربعة أجزاء ، ومسألة التقسيم مسألة اعتبارية ، والدقة تقضى بالمحافظة على اعتبار المؤلف الذى أخرج الكتاب عليه ؛ فكان الأنسب أن يقسم الناشر كل جزء إلى أقسام ، فيقول مثلاً : القسم الأول من الجزء الأول ، والقسم الثانى من الجزء الأول ... وهكذا حتى ينتهى الجزء الأول ، فيبتدئ تقسيما جديداً للجزء الثانى

ونتجاوز هذا إلى صميم الكتاب ، فنقف مع الأستاذ فى تلك المقدمة التى دبجها فى التعريف بمؤلف الكتاب ، فنجده قد جاء بأشياء ذكرها المقرى نفسه فى المقدمة التى كتبها عن سفراته ورحلاته ، والباعث له على تأليف الكتاب . ومن العجيب أن يقول الأستاذ وهو يسرد مؤلفات المقرى : ومن مؤلفاته الشائقة عرف الطيب فى أخبار ابن الخطيب ؛ ثم يقول فى الهامش : ذكر فى كشف الظنون أنه سماه بعد ذلك نفح الطيب ، وهذا لف لاحاجة اليه ، فأن المؤلف قد شرح مسألة التسمية فى المقدمة فقال : « وقد كنت أولاً سميته بعرف الطيب فى التعريف بالوزير ابن الخطيب ، ثم وسمته حين ألحقت به أخبار الأندلس بنفح الطيب ... » فكان سبيل الكلام أن يقول الأستاذ : ومن مؤلفاته نفح الطيب ... ولا يثبت اسماً قد ألغاه صاحبه ، ولا ينتدب كشف الظنون لمهمة قد أداها المؤلف عن نفسه ؛ على أنه بعد ذلك قد ذكر الاسم الأول محرفاً كما يتبين ذلك من مقابلته بعبارة المؤلف

وفى (ص ٥٢) قال المقرى من قصيدة طويلة :

أين الذى الهرمان من بنيانه ... ما قومه ما يومه ما المصرع !

فعلق عليه الشارح بقوله : كشف من الأهرام حتى الآن أربعة !! إلا أن شعراء الماضى يذكرون الهرمين : هرم خوفو وهرم خفرع ، ثم استشهد لذلك بقول أبى الطيب :

أين الذى الهرمان من بنيانه ... ما قومه ما يومه ما المصرع !

نقول : وشعراء الماضى يذكرون الأهرام بلفظ الجمع وهو كثير فى أشعارهم ، ومن ذلك قول ابن جبارة :

لله أى غريبة وعجيبة ... فى صنعة الأهرام للألباب

أخفت عن الأسماع قصة أهلها ... ونضت عن الابداع كل نقاب

وفى (ص ٦١) قال المقرى : « وقد زمت للرحيل القلص الرواسم » فقال الشارح : الرواسم هى الابل السائرة وسيما قال الشاعر :

متى تقول القلص الرواسما ... يدنين أم قاسم وقاسما

وهذا تفسير ناقص فكان عليه أن يبين مرتبة هذا الرسيم من السير ، أهو إلى السرعة أم إلى الريث ، وإنما نبهنا على هذه لأن أمثالها فى الكتاب كثير . ألا تراه يعلق على كلمة — نيسان — بالشرح فيقول . هو شهر رومى ؟

وفى (ص ٧٩) قرأت قول القائل :

رحلنا فشرقنا وراحوا فغربوا ... ففاضت لروعات الفراق عيون

وقد رأيت كلمة فشرقنا بالفاء ، ولعل من الواضح أنها بالقاف لتكون فى مقابلة (فغربوا) وأحسب هذا الخطأ من تحريف الطابع

وفى (ص ٩٨) قال المقرى : « فكم جبنا من مهامه فيحا ، ومسحنا بالخطا منها أثيراً وصفيحا ... » فقال الأستاذ الشارح : الأثير عند الأقدمين الفلك التاسع ، فهو على تشبيه المهامه بالفلك فى اتساعه ، أو الأثير من أثر السيف وهو فرنده ورونقه ودباجته ولعل هذا أنسب . نقول : أما المعنى على التفسير الأول فخطأ لا يصح ، وأما التفسير الثانى ففيه نظر ؛ تقول اللغة : أثر السيف بوزن الأمر فرنده ؛ وتقول اللغة أيضاً : الصفيح المريض من كل شىء ، فالمقرى يريد أن يقول : إننا جبنا هذه المهامه وسرنا بالعريض منها والدقيق . ومن هنا ترى أن صحة العبارة « ومسحنا بالخطا منها أثراً وصفيحاً . . . »

وفى (ص ١٣٩) قال المقرى وهو يتكلم عن دمشق : « وهى المدينة المعمورة البقاع ، بالفضل والرباع » فلم يطمئن الشارح لكلمة الرباع بالباء الموحدة ، وقال : لعلها الرياع بالياء المثناة أى الربع والنماء والزيادة . نقول . واللغة لا تقول الرياع وإنما تقول الربع ، ثم لا شك أنها الرباع بالباء الموحدة جمع رَبْع بمعنى

القوم كما هو إطلاقهم على الحجاز ، فكأن المقرى يريد أن يقول : إنها عامرة بالفضل وبالأقوام ، وهو كما يقولون فى التعبير الحديث (آهلة بالسكان)

وفى (ص ١٥٢) قول القائل فى وصف دمشق أيضاً :

إن تكن جنة الخلود بأرض فدمشق لا يكون سواها (؟)
أو تكن فى السماء فهى عليها قد (أمدت) هواءها وهواها

فقال الشارح : لعلها أمرّت ! ! تقول ومعنى أمرت أذهبت ولا يصح المعنى على هذا الحدس ، فهى أمدت كما فى الأصل لأن الشاعر يريد أن يقول : إن تكن الجنة بالأرض فهى دمشق ، وإن كانت بالسماء فوضعها فوق دمشق وإنها أمدّتها بهوائها وهواها . . .

وفى (ص ١٦٣) قال الشاعر :

زونق كالحباب يعلو على الما ء ولكن تحت الحباب الحباب

والشارح قد قيد الحباب جميعها فى البيت بالضم ، وإنما هى فى الأولى والثانية بالفتح بمعنى الفقاعات التى تعلو سطح الماء ، وقد فطن إلى هذا الخطأ فقيد الكلمة مصححة بالفتح فيما بعد

وفى (ص ١٦٤) قال المقرى : «ولو كان بين الصفا والحجون » وقد رأيت الصفا مضبوطة بكسر الصاد ، وإنما هى بالفتح كما جاءت فى القرآن الكريم

وفى (ص ١٨١) البيتان :

تمتع بالرقاد على (شمـــال) فسوف يطول نومك باليمين
ومتع من يحبك باجتماع فأنت من الفراق على يقين

فقال الشارح : يجوز أن تكون (شمال) جمع شملة وهى كساء يشتمل به ... وفى حديث على (؟!) قال للأشعث بن قيس : إن أبا هذا كان ينسج الشمال بيمينه ؛ وهى من أحسن الألفاظ وألطفها بلاغة ! ! وهذا كله شرح فاسد ، فأن المراد بالشمال مقابل اليمين ، إذ المعنى : تمتع بالنوم على جنبك الشمال فى الحياة قبل أن يستمر نومك باليمين فى الموت . ولعل من المعروف أن الأفضل فى دفن الميت أن يوضع على جنبه الأيمن

وفى (ص ٢٠١) قال الشاعر :

أين أيامنا اللواتى نقضت إذ زجرنا للوصل أيمن طير

فقال الأستاذ فى الشرح : زجر الطير من العيافة ثم قال : والعيافة باطلة ، واحتج لذلك بقول الشاعر :

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصا
ولا (زجرت) الطير ما الله صانع

وهذا فضول فى الشرح ومثله فى الكتاب كثير ، ثم فى كلمة زجرات تحريف وإنما هى زاجرات

وفى (ص ٢٠٣) قرأت قول ابن الخياط :

فلم أر الطرة حتى جرت دموع عينى (بالمرزيب)

وأنا أحفظها كالمرزيب وهى أصح وأبين . .

وفى (ص ٢٢٠) أثبت المقرى قصيدة للمولى الشاهينى جاء فيها :

وها كما سيارة أعتقت على جواد كان للبحترى
ورثته منه ولكنما من شاعر وافى الى أشعر
ما للفتى الطائى شوط امرئ يصطاد نمر الجو بالمنسر

وقد علق الأستاذ على البيت الأخير فقال : أظنه يريد بالفتى الطائى أبا تمام وبامرئ امرأ القيس فانظر — وقد نظرنا فرأينا أنه يعنى بالفتى الطائى البحترى الذى ذكره فى البيت الأول ، وأنه يريد بامرئ : نفسه على جهة التشبيه بامرئ القيس وهذا هو الذى يقتضيه السياق ، ويتطلبه المعنى

وفى ص (٢٥٧) قال المقرى فى تحديد الأندلس : « وهذه المدينة — يعنى مدينة أربونة — تقابلها مدينة برديل . . . » فقال الأستاذ : لم نعثر فى المعاجم على اسم هذه المدينة ، وقد تكون محرفة عن (برديش) وهى من مدن قرمونية بالأندلس . وليس ثمت تحريف ، فأن برديل هى بردو الآن ، وتقع حيث يقترب البحر المحيط من البحر الشامى ، وهى فى مقابل أربونة ؛ وقد كان القدماء يقسمون الأندلس الى ثلاثة أركان ، ويقولون إن ركنها الثانى يقع بالشرق بين أربونة وبرديل

وفى (٢٧٩) قال وهو يتكلم عن المعادن والأفاويه بالأندلس : « وقد سيق منه — أى العود الهندى — الى خيران الصقلبى صاحب المرّية » والمقرى قد نقل العبارة بنصها عن الاحاطة لسان الدين ، وقد جاء فى الاحاطة اسم صاحب المرية (حيزوان)

ذلك ما أحصيناه فى هذا القسم من الكتاب فى نظرة عجلى ، وربما لو عدنا اليه بالنظرة الفاحصة لعثرنا على ما هو أهم وأجل ، ولعل الله ييسر لنا النظر فى جميع أقسام الكتاب

محمد فهمى عبد اللطيف